

جماليات الشعر الثوري عند مفدي زكرياء - دراسة أسلوبية لقصائد -

The aesthetics of revolutionary poetry by Mufdi Zakaria - a stylistic study of poems

1 سامية غشير*

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف، (الجزائر)، samiaghechir@gmail.com

مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب

تاريخ الارسال 2025-07-26 تاريخ القبول 2025-08-13 تاريخ النشر 2026-03-26

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الأسلوبية إلى الكشف عن الجماليات التي تزخر بها قصائد شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكرياء، هذا الشاعر الذي نظم قصائد كثيرة نقلت صدى الثورة الجزائرية إلى أصقاع العالم، كما أسست لشعر ثوري مُناهض مُقاوم، يزخر بجماليات متفردة وهذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال دراستنا الأسلوبية التي تنهض على البحث في مختلف البنى والجماليات التي تزخر بها القصائد الثورية.

الكلمات المفتاحية: الدراسة الأسلوبية، الجماليات، مفدي زكرياء، الثورة الجزائرية، شعر ثوري، البنى.

Abstract: This stylistic study aims to uncover the aesthetics that abound in the poems of the Algerian revolutionary poet, Mufdi Zakaria. This poet composed many poems that conveyed the echo of the Algerian revolution to the far corners of the world and established a revolutionary, oppositional, and resistant poetry replete with unique aesthetics. This is what we will attempt to uncover through our stylistic study, which is based on exploring the various structures and aesthetics that abound in revolutionary poems.

Keywords: Stylistic study, aesthetics, Mufdi Zakaria, Algerian revolution, revolutionary poetry, structures.

1. تقديم:

لقد كان فنّ الشعر أكثر الفنون الأدبية قربا إلى الواقع الإنساني بمختلف صوره وتجلياته المتعددة، ينقل الواقع بمصادقية وموضوعية، والشاعر الجزائري اقترب من أكثر المواضيع حساسية في واقعه، وحاول تجسيدها في صور أكثر دهشة، وجمالا، ورقيا، والشاعر "مفدي زكرياء" شاعر الثورة الجزائرية جعل الهاجس الثوري سؤالا يتمركز حوله شعره؛ إذ حاور الهم الوطني، واستنطق أكثر المواضيع وطنية، وقومية، وإنسانية في قصائده.

هي قصائد تفيض بالسحر والبهاء، تندفق منها جمرات الحرقه، والشوق، والاكتساح لتعلو مدارات الوريد، فيض من المشاعر والانفعالات، وملامح التمرد والثورة والهيجان تغمر متن القصص، وتعبّر عن ثورة الشاعر الخارجية ضد المحتلّ، وتلهب الوعي الجمعي لدى الشعب لمقاومة بشاعة الواقع الذي فرضه الاستعمار، وتمتد هذه الثورة إلى الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية، لتحارب القيم والسلوكات الفاسدة التي نشرها الاستعمار الفرنسي في الأراضي الجزائرية، لتمتد كذلك إلى متن النص، فتتجلى في بنيته الفنية (العنوان، اللغة، الصورة الشعرية، الإيقاع...)، فيا ترى ما هي الأدوات التي نقارب بها شعر مفدي زكرياء الثوري أسلوبياً قصد إجلاء جمالياته، وملامح الثورة فيه؟

2. جماليات الشعر الثوري عند مفدي زكرياء - دراسة أسلوبية لقصائد :-

أ- العنوان:

تعدّ عتبة العنوان من أبرز العتبات، فهي أهمّ العناصر الدلالية في كتابة أي نص أدبي فالعنوان يحمل بين دفتيه مضامين النص ودلالاته التي هي رهن الغياب، فهو يعدّ "علامة لغوية تتموقع في واجهة النص لتؤدي مجموعة وظائف تخصّ أنطولوجية النص ومحتواه".¹

الواضح أنّ عناوين القصائد جاءت اسمية، فالتوظيف الاسمي للعناوين يكسبها قوة ودلالة، وعمقاً، كما أنّها "أشدّ تمكناً، وأخفّ على الذوق السليم من الدلالة الفعلية".²

وما يلاحظ عليها أيضاً أنّها عناوين كبيرة كتبت بخطّ كبير، عادية، مائلة بعض الأحيان، كما أنّها جاءت مثيرة، صارخة، حماسية، ذات مدلولات دينية وسياسية، ونذكر منها هذه العناوين "لذهبنا نخالف الشيطان!"، "من يشترى الخلد؟ إنّ الله بائعه!"، "نشيد الانطلاقة الوطنية الأولى"، "نشيد بربروس"، "وتكلّم الرّشاش جلّ جلاله!!"، "وقال الله"، "يقدّس فيك الشعب أعظم قائد"، "إلياذة الجزائر".

ب- اللغة الشعرية:

يقصد بلغة الشعر "طاقة القصيدة الشعرية والإبداعية، وإمكاناتها الفنية، والتي تشتمل إذا ما حاولنا أن نخضعها لتحليل تفصيلي على الصور الشعرية، والصور الموسيقية، والتجربة البشرية".³

الظاهر على قصائد "زكرياء" تأثره الشديد بالثقافة العربية الإسلامية، فأغلب ألفاظها منتقاة من القرآن الكريم. اعتمد الشاعر "مفدي زكرياء" على لغة مباشرة ذات طابع سياسي ديني، تتسم بقوة اللفظ وفخامته، وعمق دلالاته، وهذا ما نلاحظه في سياقات كثيرة منها قصيدة "ألا إنّ ربك أوحى لها":

"فلا تسألوا الأرض عن رجّة
تحاكي الجحيم، وأهوالها
ألا إنّ إبليس أوحى لكم..
ألا إنّ ربك، أوحى لها!"⁴

غير أنّ دلالات القصيدة تختلف عن المعنى القرآني المقصود به (يوم القيامة)، فالشاعر نظم هذه القصيدة بمناسبة زلزال بلدة الأصنام مدينة الشلف حالياً قبل اندلاع الثورة الجزائرية، إلّا أنّه أراد إرسال رسائل الاستنهاض والجهاد

من أجل الدّفاع عن هذه الأرض التي تكالبت عليها الظّروف الاستعمارية والطّبيعية، وقد وظّف ألفاظاً مشحونة بالقوّة، والقسوة (زلازل، أنقلاها...) (

ونجدُ توظيف الألفاظ الدينيّة القرآنيّة أيضاً في قول الشّاعر:

"ألا إنّ إبليس أوحى لكم.. ألا إنّ ربّك، أوحى لها!"⁵

وقد اقتبس الشّاعر من القرآن الكريم في قوله تعالى: "يومئذٍ تحدّث أخبارها بأنّ ربّك أوحى لها." [الزلزلة 05] إنّ الشّاعر يعرض خطابه الثّوري الحماسي المشحون والمنفتح على دلالات كثيرة، وقد أجلت اللّغة الشعريّة هذه التّعديّة، فالشّاعر يثور على المستعمر من جهة، وعلى بعض السلوكات الفاسدة من جهة، وعلى الاستسلام والصّراع بين أبناء الوطن الواحد.

وظّف الشّاعر ألفاظاً سياسيّة مشحونة بالحماسة، والدّعوة إلى الالتحام والاتّحاد والمقاومة والجهاد، يقول: "هذا (نوفمبر)، قُمْ، وحيّ المدفعا

واذكرْ جهادك... والسّنين الأربعا." ⁶

والأمر عينه مع مقاطع شعريّة أخرى منها:

"واعقدْ لحقك، في الملاحم ندوة..."

يقف السّلاح بها خطيباً مصقّعا..."⁷

خلال قراءتنا لقصائد "مفدي زكرياء" لاحظنا أنّ اللّغة الشعريّة عنده اتّسمت بتعدّد خصائص ومميّزا تتمثّل في:

- دقّة اللفظ وعمقه:

وظّف الشّاعر ألفاظاً تتسم بالدقّة، والقوّة، والجزالة أسهمت في إيصال المعاني العميقة التي يهدف الشّاعر إلى إيصالها إلى الجزائريين، كما اتّسمت بثرائها، وتعدّد مرجعياتها المختلفة، وهذا من أجل تفعيل الخطاب الحماسي، وحثّ الشّعب على الثّورة والتّمرد النهوض والاستنهاض، وكلّها رسائل ساميّة وعميقة ذات تأثير قوي، وكبير في النفوس والوجدان، يقول الشّاعر في قصيدة "اذكروا الثّورة في أقسامكم!":

"صُعْداً، نحو العلا والسّودد يا شباب اليوم، أبطل الغد

أنتم اليوم رجاء، وغداً أنتم أركان صرح الأبد

فاصدّقوا العزم، لتحقيق البقا فالبقا وقّف على المجتهد

واطلبوا العلم، تعيشوا سادة واصنعوا بالفكر مجد البلد"⁸

فالظّاهر أنّ ألفاظ هذه الأبيات الدّقيقة الأصيلة الصّريحة، قويّة المعنى لها تأثير عاطفي ونفسي، وإنساني كبير، وقبول عند الطّلبة الجزائريين، فالشّاعر يحثّهم على الثّورة، ويحمّسهم على الجهاد والكفاح والتّضحّيّة، هذه الأخيرة التي تمظهرت في صور عديدة ومختلفة، ثورة على الاستعمار، ثورة على الجهل، ثورة على الجمود العلمي، ثورة على

الأفكار البليدة، وهذا ما وُقِّ فيه "زكرياء"، الذي زواج ووائم بين اللفظ الموظف والمعنى المراد، يقول الشاعر في قصيدة "فلا عزّ.. حتى تستقلّ الجزائر":

"مددنا خيوطَ الفجر.. قُمْ نصنع الفجرا
وَعَصْنَا بصدر الغيب، نجلو ضَميره
وَدُسْنَا غرورَ الدهر، في كبريائه
وَحُضْنَا تصاريِفَ الزّمان
وسُقْنَا سفينَ (الوعد) حُمراً شراعُها
وصُغْنَا كتابَ البعث.. قم نَشْرِ السفرا
ونقرأ من عدل السّماء به، سَطرا
فصعّر خدّاً! وانحي، يطلب العذرا
ونَصْدَعُ - بالإعجاز - أحداثها السّكري
ويوجّهها للنّصر، من (وعد) النّصر.⁹

إنّ قوّة الألفاظ وفصاحتها، وعمق دلالاتها وإيحائيتها ساعد على تنمية الوعي الثوريّ والتأثير في الجماهير، ونشر صور البهجة، والفرح، والنّصر، والتّطلع إلى الحرّية، والتي أشار لها بلفظة (الفجر) للدّلالة على إيمانه بالقضيّة الجزائريّة إيماناً عميقاً، واستشرافه المستقبل، ونظرته الثّاقبة للمعطيات، وقد وظّف ألفاظاً عميقة المبنى والمعنى، زخرت خطابه، وأكّدت، ورسّخته مثل (مددنا- نصنع، صغنا، غصنا، نجلو، دُسنا، حُضنا، نصدع، سقنا...) فالشاعر أجاد عملية سبك الألفاظ وتقديمها بالتوالي، كما أجاد عملية انتقائه، فهذه الألفاظ تحمل دلالات القوّة والحرب، والدّفاع عن الشّيء والتّضحية من أجله.

والملاحظ أنّ ألفاظ قصائد "مفدي زكرياء" تتسم "بالدقة وتؤدّي معناها اللّغوي والدّلالي بشكل جيّد تتيح للقارئ فرصة التّفاعل مع القضايا التي يقترحها الشاعر عليه في قصائد شعريّة تفيض ألماً وأملاً وثورةً وحبّاً مجسّدةً بقوّة عمق التجربة الوجدانيّة التي عاشها الشاعر في ميادين الكفاح من أجل الحقّ والحبّ، والخير والسّلام في كلّ مكان.¹⁰

- تكرار اللفظ:

أكثر الشّاعر من توظيف ظاهرة التّكرار، والذي يتمظهر من خلال تكرار الأفعال واللّازمة الشعريّة وهذا ما أكسب القصائد رتّة موسيقيّة جميلة، وإيقاعاً قويّاً يرتبط بقضايا الثورة والتّضال، والدّفاع عن النّصر والحرّية، وتصوير الحالات الإنسانيّة من أمل، وألم، وقهرٍ وقمع، يأس، وتفاؤل، يقول الشاعر في قصيدة "الذّبيح الصّاعد":

"يا "زباناً" ويا رفاق "زباناً"
عشتم كالوجود، دهرًا مديدا
كلّ من في البلاد أضحى "زباناً"
وتمتّى أن يموت "شهيدا"!!¹¹

إنّ الشّاعر يتغلّز بالتّوار الجزائريين وعظمتهم، فهو يراهم في عيون الشّهيد "زباناً" فكّلهم أرادوا فدائ وطنهم الجزائر بحياتهم، ودمهم، وأرواحهم.

والأمر عينه مع قصائد كثيرة مثل قصيدة "فاشهدوا"، والتي كُثرت فيها اللّازمة "فاشهدوا- فاشهدوا- فاشهدوا" في مقاطع القصيدة، حيث جسّدت هذه اللّازمة الفعلية صورة مقاومة، متحدية وثائرة على جبروت المحتل، وكانت قصيدة استشرافية على نجاح الثورة الجزائريّة والاستعمار الفرنسي الغاشم، يقول الشّاعر:

"لم يكن يصغى لنا، لما نطقنا...
 وعزفنا، نغمة الرّشاش لحنا...
 واتخذنا رنة البارود وزنا...
 وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
 فاشهدوا- فاشهدوا- فاشهدوا"¹²

ج- الصّورة الشعريّة:

لقد أفلح الشاعر في التصوير الفتيّ، وفي بناء الصّور وتشكيلها، فالصّور الشعريّة جسدت رؤيته الشاعرة، والأغراض الشعريّة من وراء توظيفها، إضافةً إلى "توضيحها من خلال الدلالات التي تتضمنها كل صورة وهدف الشاعر من التعبير بالصّور الشعريّة هو إحداث التأثير المرغوب في المتلقي، ودفعه إلى القيام بموقف يتسم بالفاعليّة التي تدعم موقف الشاعر، أو رأيه، أو شعوره..."¹³

تزخر القصائد الثورية عند "مفدي زكرياء" بعدد الصّور الشعريّة التي أوردها الشاعر للتعبير عن حالات عديدة من الفرح، والأمل، والثورة، والتطلع للنصر، والظاهر أنّ الشاعر ينجح في بنائه للصّور إلى الخيال والتّرميز، من خلال إكثاره من الصّور البيانية خاصّة التشبيهات والاستعارات المكنيّة، ويمكن إيرادها في:

- الاستعارة المكنيّة:

تعدّ الاستعارة المكنيّة من أبرز الصّور البيانيّة، ويقصد بها "استعمال اللفظ في غير ما وُضع له في لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلّا تشبيهاً مختصاً لكنّه أبلغ منه."¹⁴

تزخر القصائد بعدد الصّور الاستعاريّة التي وظّفها الشاعر، وربطها بالأحداث الثوريّة منها: "واصنعوا بالفكر مجد البلد"¹⁵ استعارة مكنيّة، حيث شبه الشاعر الفكر بالشّيء الماديّ الذي يُصنع، حذف المشبّه به وأبقى على لازمة من لوازمه وهي (اصنعوا) على سبيل الاستعارة المكنيّة، فالشاعر يحثّ الطلبة الجزائريين على تسخير أفكارهم من أجل تنوير حياة الوطن الجزائريّ، وصنع مجده العظيم، وهو الثّورة وتحقيق الاستقلال والحرية. "اجمعوا الرأى، إذ أقدمتم"¹⁶ استعارة مكنيّة، حيث شبه الشاعر الرأى بالشّيء الماديّ المحسوس الذي يجمع حذف المشبّه به وأبقى على لازمة من لوازمه وهي لفظة (اجمعوا) على سبيل الاستعارة المكنيّة، فالشاعر يشجّع الشّباب الجزائري المثقف على ضرورة أخذ الرأى والتوافق في اتّخاذ القرارات لصالح الوطن، والابتعاد عن الصّراعات والنزاعات؛ لأنّها تضرّ مصلحة الوطن، والمجتمع.

"محاجر تندب أطلالها."¹⁷ استعارة مكنيّة، حيث شبه الشاعر المحاجر بالإنسان الذي ييكي ويندب على بقايا ذكريات وأطلال من توفّوا من الأحباب والأصحاب، حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على لازمة من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنيّة، فالشاعر يدعو الله سبحانه وتعالى أن يلطف بحال الأمّة الجزائريّة التي عانت من أزمت كثيرة بشريّة، وطبيعيّة، حيث أضحى الحزن والألم يرسمان حياة الشّعب الجزائري، جزاء نشوب الزلازل الطّبيعيّة والبشريّة.

- التشبيه

يعدّ التشبيه من الصّور البيانية التي تضيف على الصّور الشعريّة رونقاً وجمالاً، ويقصد بالتشبيه التّمثيل، "أشبه الشّيء الشّيء أي ماثله، والمتشابهات من الأمور: المتماثلات والتشبيه هو التّمثيل".¹⁸
من أبرز التشبيهات الواردة في القصائد، والتي ارتبطت بالفعل الثوري نجد قول الشاعر:
"إنّ الجزائر قطعةٌ قدسيّةٌ في الكون لحّنها الرّصاصُ ووقّعها!"¹⁹

إنّ الشاعر يشبّه الجزائر بالقطعة الأكثر قداسةً في الكون، وهذا تشبيه بليغ، حيث حذف الأداة، فقد وظّف للدلالة على عظمة الجزائر ومكانتها العظيمة، حيث شهدت الجزائر أعظم ثورة في العالم، حيث فجر أبنائها ثورة نوفمبر المظفّرة بدمائهم، وكفاحهم ونضالهم، فقد كان الرّصاص شاهداً على هذه الموقعة التاريخيّة الكبرى، وقد سجلّ في صفحات التاريخ نصرهم الباهر، والأمر عينه مع هذا البيت الشعري الذي يشبّه الجزائر بقصيدة أزلّيّة وهو تشبيه بليغ، يقول الشاعر:

"قصيدة أزلّيّة، أباها حمراء، كان لها (نفمبر) مطلعاً"²⁰

إنّ الجزائر عند "زكرياء" هي قصيدة أزلّيّة ناثرة صامدة خالدة، لا تموت ولا تقهر، كتبها بدمائه الطاهرة، وخطّها بأوجاعه وتعذيبه، فاحتضنت هذه القصيدة المتفردة نوفمبر الذي أشعل فتيل الثورة، فاندفعت التراكيب السّخية تحرّض، وتشجّع الشّباب الثائر صُعداً به إلى سماوات الحرّية، والنّصر المنتظر.
كما نلاحظ التشبيه التّمثيلي في قوله:

"قام يَحْتال كالمسيح ويثدا يتهادى نشوان، يتلو النشيدا

باسم الثّغر، كالملائك، أو كالطّ فـل، يستقبل الصّباح الجديداً".²¹

إنّ الشاعر يشبّه الشّهيد "زبانا" بالمسيح، والملائك، والطفّل، ونلاحظ حضور الأداة (الكاف)، فهو يفتخر بهذا الرّمز الثوري الكبير، ويعرض صفاته الجليلة، فهو كالمسيح في قدرته وقوّته، وهو كالملائك في ضحكته وابتسامته، وهو كالطفّل الوليد الذي يستقبل الصّباح بفرح، وأمّل، وتفاؤل، فهذا البطل يترقّب النّصر، والصّباح المشرق الذي تنتصر فيه الثورة الجزائريّة، وتسطع فيه شمس الحرّية.

د- الإيقاع الموسيقي

يعدّ الإيقاع من البنى الأساسيّة التي تُبنى عليها أيّة قصيدة شعريّة، حيث يضيف جانبا جمالياً، ورثّة موسيقيّة جميلة تلهم القارئ، وتؤثّر على خواجه، فالإيقاع هو "الفاعلية التي تنتقل إلى المتلقي ذي الحساسية المرفهة الشعور بوجود حركة داخلية ذات حيوية متنامية، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عن طريق إضفاء خصائص معيّنة على عناصر الكتلة الحركيّة".²²

ويتشكّل الإيقاع الشعري من الموسيقى الدّاخلية، والخارجيّة.

- الإيقاع الخارجيّ:

اعتمد الشاعر "مفدي زكرياء" على أوزان تتسم بالثورة والعنف، الحدة والقوة، وتتساير مع الأحداث الثورية كما زواج أيضًا ونوع بين البحور الصافية والبحور المركبة حتى يعبر عن الثورة الجزائرية، وقضاياها، وأحداثها المختلفة. إن اختيار الشاعر للبحر المناسب عادةً ينم عن رؤيته الخاصة التي يعرضها في القصيدة وانطلاقاً من اختياره "للألفاظ والتعبيرات المناسبة لكل قصيدة، فمن خلال ما تنطوي عليه تلك المفردات والتراكيب من شحنات موسيقية يتم تحديد مدى التوافق النغمي مع المعاني ومن ثم فإن اختيار الوزن يعود أساساً إلى موقف الفنان، أو رؤيته التي تتجلى في القصيدة." ²³

والظاهر أن بحر المتقارب كان أكثر هيمنة على القصائد، كون هذا البحر يرتبط بدلالات نفسية كالتشجيع، والحث على التمرد والثورة، وشدة الانفعال، ورفض الواقع. اعتمد الشاعر على بحر المتقارب، وتفعيلاته هي: فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن يقول الشاعر:

هو الإثم، زلزل زلزالها	فززلت الأرض، زلزالها ²⁴
هُوَ لِإِثْمٍ، زَلَزَلَ زِلْزَالَهَا	فَزَلَزَلَتْ لِأَرْضٍ، زِلْزَالَهَا
0//0/0///0//0/0//	0//0/0//0/0///0//
فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن	فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

صحيحة مضمرة صحيحة مقطوعة مضمرة صحيحة صحيحة مقطوعة

فهذه القصيدة من بحر (المتقارب) وتفعيلاته الأصلية هي (فعولن)، وقد أصابها زحاف القبض (فعولن) والتقطيع (فعولن)، فتوظيف هذا البحر يرتبط بحالات نفسية كالانفعال والتوتر والثورة، والدعوة إلى الرفض والتمرد. ما يلاحظ أيضًا على قصائد "مفدي زكرياء" التنوع في البحور، والقافية، والروي في بعض القصائد، فالشاعر جمع في شعره بين النموذجين الشعريين (التقليدي، والحر)، ويعود جمع الشاعر لهذين النوعين من الشعر إلى:

- التوق إلى التجديد في الإيقاع، والبحث عن نوع جديد يكون قادرًا على استيعاب أفكاره وقضاياها الثورية، والوطنية، والإنسانية التي تبنّاها في قصائده.

- التعبير عن مختلف الحالات النفسية من ألم، وأمل، وثورة، ورفض، وتمرد، والتي عايشها الشاعر، فكان التنوع في الإيقاع الشعري ملائم للتعبير عن مختلف التجارب الوجدانية التي عاشها، ونقلها عبر القصائد.

- الإيقاع الداخلي:

يتولد الإيقاع الداخلي عادةً من تماس الأصوات، وتجاورها، وتضامها، وتتجلى الموسيقى الداخلية في القصيدة في عدة ظواهر فنية ساعدت في توليد رنات موسيقية جمالية، وتشكيل نغم موسيقي دافئ، ومن أبرز هذه الظواهر نجد:

- التكرار:

من أبرز البنى التي تظهرت في قصائد "مفدي زكرياء" والتي أسهمت في إعطاء رنة إيقاعية جمالية، ودفع موسيقي جياش نجد ظاهرة التكرار، الذي يتمتع بـ "دلالات فنية ونفسية يدل على الاهتمام بموضوع ما يشغل البال كان أم إيجاباً، خيراً أم شراً، جميلاً أم قبيحاً، ويستحوذ هذا الاهتمام على حواس الإنسان وملكاته..."²⁵ نلاحظ تكرار اللوازم الشعرية خاصة قصيدة "فاشهدوا.." مثل قوله تعالى: "فاشهدوا- فاشهدوا- فاشهدوا"²⁶ وتكرار كلمة (ادفعوها)، والتي كانت فاتحة قصيدة (ادفعوها)، ولفظة (اذكروا)، و(شرعوها) و(اصفعوها) في قصيدة (ادفعوها)، إضافة إلى ألفاظ (الجزائر- الثورة، النشيد، الشعب العروبة). نلاحظ تكرار حرف الراء، وهو يعدّ من الأصوات المجهورة، والذي تظهر في كلمات عديدة (الأرض، ساخرًا، ربّ، ترى، رحماك، طريقك، يرثى، جرى، الجزائر، رُشدها غيّرت...)، فحرف الراء يدلّ على التكرار، والحركة. والأمر عينه مع حرف الباء، والذي يعدّ من الأصوات المجهورة، وقد تظهر كثيراً في القصيدة (كبلوني، العروبة، إصبعا، أصبحت، صبره، المنبعا، أنياب، البلاء، البقاء، البرقا أبنائها، البكا، أجاب، بلقعا، أبدعا، الشعب، تبرّعا، ربّك، أبطاها، صبت، أكباد، خطب الدروب، الغروب، الرهيب، الحبيب، الغيب، بشرى، الجابر، نوفمبر...)، والواضح أنّ حرف الباء قد أضفى على القصيدة رنة موسيقية جميلة جداً، وقد أسهم في تعميق الحالة النفسية للشاعر، وتقوية موقفه الذي يدافع عنه، ويرغب في إيصاله إلى جمهور القراء. وظّف الشاعر حروف المدّ (الألف- الياء- الواو) وعيّا منه بالقيمة الجمالية التي تؤدّيها حروف المدّ، كونها تمثّل ظاهرة صوتية جمالية تضفي نعمة موسيقية راقية، ومن أمثلة ذلك (زبان- زلزالها- أنقالها- لها، ادفعوها- اصلبوني- كبلوني-) وتكرارها خاصة الأبيات الأولى وبالضبط تكرار حرف المدّ الألف المقرون بـ "يا" النداء، والذي أسهم في تكثيف وتعميق الإيقاع الداخلي، الذي يتسم بالعنف، والشدة، والثورة. لقد أسهمت حروف المدّ في إطالة النفس الموسيقيّ، وإحداث انفعال شديد داخل الأبيات، كما أحدثت رنات موسيقية متناغمة ومتجانسة، تؤثر في ذهن وخوالب القارئ وتدفعه إلى التفاعل مع القضية المطروحة.

- التصريح

يعدّ التصريح من المحسنات اللفظية، ويكون عادةً في مستهلّ القصيدة، وهذا ما لاحظناه في مطلع قصيدة "الذبيح الصّاعد"، يقول الشاعر:

يتهادى نشوان، يتلو النشيدا.²⁷

قام يختال كالمسيح ويّيدا

والأمر عينه مع قصيدة "ألا إنّ ربّك أوحى لها!!"

فززلت الأرض، زلزالها.²⁸

"هو الإثم زلزل زلزالها"

- السجع

يعدّ السّجع من المحسّنات البديعيّة وهو يورد عادةً في أواخر الجملة، وقد ورد في محطّات كثيرة منها قول الشّاعر: "يا بلادي... فتناغيه الصّواعق -

بالمواحق

صارخات

فوق هامات الجبابر!

ويغني، فوق أعواد المشانق

فتحييه، الخوافق

وتزكّيه، الخوارق

أنا نائر

في الجزائر

أنا نائر

إن أُمّت: تحي الجزائر... "29

- الجناس

من المحسّنات البديعيّة، ويقصد به توافق كلمتين في حروفهما مع اختلاف معناهما، وينقسم إلى قسمين جناس ناقص وجناس تامّ.

نلاحظ الجناس الناقص في قول الشّاعر: "إدفعوها..."

في ضمير اللّيل، تحتاخ السّكون

تترامى كالقضآ

وتندوي كالفضآ

تُسمع الأكوآن

قصّة الإيمان. "30

فالجناس يوجد بين لفظتي (القضآ والفضآ)

هـ- الحقول الدلالية

تزخر القصائد الشعريّة بعدد الحقول التي وظّفها الشّاعر، وربطها بالأحداث الثّوريّة، الثّورة والنصر، ويمكن تقسيم الحقول المهيمنة في القصائد إلى:

- حقل الحرب: من الألفاظ الدّالة عليه نجد (المدفع، ثورتك، السّلاح، الوغى، القنابل، الراية، قتيل، المعتدي، الرّصاص، الطّائرات، نائر، النّار...)

- **حقل الدين:** من الألفاظ الدالة عليه نجد (الله، الملائكة، المسيح، الكليم، جبريل، الخلد، المؤذن، اصلبوني، موت، صلوات، السموات، المعجزات، الكون، الوحي، لقمان...)

- **حقل الإنسان:** من الألفاظ الدالة عليه نجد (صرخة، ضمير، الوجود، الإنسان، النشيد، زغاريد، النهود، القدود، العرائس، الأسنان، التاج، رجالا، الطفل، الأنف، فم، الثغر، الرأس، الأوانس، حقود، عاش، مات، رفاق، شباب، صبايا، رعبا...)

- **حقل النصر:** من الألفاظ الدالة عليه نجد (البطولة، الزغاريد، الأغنيات، الصباح الجديد، العيد، مستقلة، جهاد، الخوارق، الكواسر، البارود، أنغام، الورود، أبطال...)

- **حقل الحيوان:** من الألفاظ الدالة عليه نجد (الأفلاك، الكواسر، التسور، اللبوءات...)

وقد هيمن حقل الحرب على القصيدة؛ لارتباطه بالصراع والصدام بين الجزائريين والاستعمار الفرنسي، هذا الأخير الذي وظف كل الأدوات، والوسائل الحربية القاسية من أجل القضاء على الثورة، وكسر جموح الجزائريين.

- التناص

يعدّ التناص من التقنيات الجمالية التي تحتفي بها القصيدة المعاصرة، فهو "ظاهرة لغوية معقدة تستعصى على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة مقدرته وقدرته على الترجيح"³¹

ونلاحظ توظيف هذه التقنية بصورة مهيمنة في قصيدة "ألا إن ربك أوحى لها":

"هو الإنم زلزل زلزالها
فزلزلت الأرض، زلزالها

وحملها الناس أثقالهم
فأخرجت الأرض، أثقالها."³²

فالجلي أن الشاعر اقتبس من القرآن الكريم وبالأخص سورة الزلزلة في قوله تعالى: "وإذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها." [الزلزلة 01-02]

خاتمة:

من خلال دراستنا الأسلوبية لقصائد مفدي زكرياء الثورية لاحظنا تميزها بجماليات كثيرة أسهمت في إضفاء جانب جمالي، ومن جهة أخرى اكتسي شعره طابعا ثوريا مقاوما مناهضا لأشكال العنف الاستعماري، ف شعر "مفدي زكرياء" يعدّ من أعظم النماذج الشعرية الثورية التي تعاطت مع قضايا الثورة الشعرية، واستوحت من وحيها وأحداثها، وهذا ما جعل منها قصائد متفردة، سواء في مضمونها، أو أساليبها البلاغية.

- تميزت قصائد "مفدي زكرياء" بالثورة وهذا ما تجلّى في ألفاظها، وإيقاعها، وتراكيبها، كما اتسمت ببراء بنيته الأسلوبية وتفردتها، والتزوع نحو التجديد والتغير مسايروا للأحداث الثورية ورغبة في تصوير مختلف الحالات المختلفة.

- وظف الشاعر أساليب بلاغية مختلفة، والتي تظهرت في العناوين الصارخة المشحونة بالسياسة والدين، ولغة شعرية قوية، فخمة، فصيحة، جزلة، إيجائية، متعددة المرجعيات وصور شعرية مكثفة المبنى والمعنى، وإيقاع موسيقي يتسم بالعنف، والثورة، والتّمرّد.

– إنَّ ثراء قصائد "مفدي زكرياء" مضمونيًّا وجماليًّا جعل منها قصائد قويّة، ثائرة، ساميّة ذات أبعاد، ودلالات إنسانية، ورمزيّة عميقة.

الهوامش:

- 1- خالد حسين حسين: في نظريّة العنوان (مقاربة تأويليّة في شؤون العتبة النصية، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دط، 2007، ص77.
- 2- محمّد عويس محمّد: الفنون في الأدب العربي – النشأة والتّطور – مكتبة الأنجلومصريّة، مصر، ط1، 1981، ص27.
- 3- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنيّة وطاقاتها الإبداعيّة، دار النهضة العربيّة، لبنان، ط3، 1984، ص321.
- 4- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، نويميدا للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، دط، 2007، ص25.
- 5- المرجع نفسه، ص25.
- 6- المرجع نفسه، ص30.
- 7- المرجع نفسه، ص30.
- 8- المرجع نفسه، ص48.
- 9- المرجع نفسه، ص103.
- 10- عبد الحقّ منصور بوناب: جماليات شعر عبد القادر السّائحي، Noorpublishing، الجزائر، دط، 2016، ص152.
- 11- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، ص60.
- 12- المرجع نفسه، ص99.
- 13- عبد الحق منصور: جماليات شعر عبد القادر السّائحي، ص110.
- 14- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، دار الجبل، بيروت، دط، ص184.
- 15- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، ص48.
- 16- المرجع نفسه، ص48.
- 17- المرجع نفسه، ص28.
- 18- ينظر، ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، دت، ج2، ص165-166.
- 19- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، ص50.
- 20- المرجع نفسه، ص30.
- 21- المرجع نفسه، ص53.
- 22- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نخضة مصر، مصر، دط، دت، ص291.
- 23- السعيد بوسقطه: قضيّة فلسطين في الشّعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب للطباعة والنّشر والتّوزيع، عنابة، الجزائر، ط1، 2014، ص317-372.
- 24- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، ص25.
- 25- المرجع نفسه، ص99.
- 26- عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشّعر العربي المعاصر، نوفل للنّشر، لبنان، ط1، 1980، ص67.
- 27- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، ص53.
- 28- المرجع نفسه، ص25.
- 29- المرجع نفسه، ص63.
- 30- المرجع نفسه، ص38.
- 31- محمّد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري (استيراتيجيّة التّناس، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص131.
- 32- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، ص25.

قائمة المراجع:

- 1- ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، دت، ج2.

- 2- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، دار الجبل، بيروت، دط، دت.
- 3- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية، لبنان، ط3، 1984.
- 4- السعيد بوسقطة: قضية فلسطين في الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، ط1، 2014.
- 5- عبد الحق منصور: جماليات شعر عبد القادر السائحي، Noorpublishing، الجزائر، دط، 2016.
- 6- عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، نوفل للنشر، لبنان، ط1، 1980، ص67.
- 7- خالد حسين حسين: في نظرية العنوان (مقاربة تأويلية في شؤون العتبة النصية، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دط، 2007.
- 8- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، مصر، دط، دت.
- 9- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
- 10- محفوظ كحوال: من أروع قصائد مفدي زكرياء مع دراسة أدبية، نو ميديا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2007.
- 11- محمد عويس محمد: الفنون في الأدب العربي - النشأة والتطور - مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ط1، 1981.